

انعكاسات التغير الاجتماعي على خصائص الأسرة الجزائرية

Reflections of social change on the characteristics of the Algerian family

بلوافي هوارية¹¹ جامعة وهران 2 (الجزائر)، belouafi.houaria@univ-oran2.dz

تاريخ الإرسال: 2023/06/10 تاريخ القبول: 2023/10/19 تاريخ النشر: 2024/03/28

ملخص: تعتبر الأسرة الجزائرية إنتاجا اجتماعيا لعمليات التطور التي عرفها المجتمع الذي نعيش فيه، إذ تأثرت بقيم الحداثة والتحضر التي صاحبت النمو الاقتصادي والتطور التكنولوجي. إذا كانت الأسرة هي البناء الاجتماعي الأهم في المجتمع فإنها عرضة للتغير الاجتماعي المستمر من حيث قيمها وبنيتها وأشكال العلاقات والأدوار والتفاعلات والوظائف فيها، وذلك حتى تتكيف وتتلاءم مع تغير المجتمع المستمر. تناولت هذه الورقة البحثية انعكاسات التغير الاجتماعي على العلاقات الأسرية باعتبارها الوعاء الثقافي والاجتماعي لتكوين شخصية الفرد، إضافة الى عرض أبرز التحولات التي عرفت الأسرة الجزائرية على مستوى العلاقات والأدوار.

الكلمات المفتاحية: الأسرة؛ التغير الاجتماعي؛ مفهوم الدور؛ المكانة الاجتماعية.

Abstract : The Algerian family is considered a social production of the development processes that the society in which we live has known, as it affected by the values of modernity and urbanization that accompanied economic growth and technological development. If the family is the most important social structure in society, then it is subject to continuous social change in terms of its values, structure, forms of relationships, roles, interactions and functions in it, in order to adapt and fit with the continuous change of society. This research paper dealt with the implications of social change on family relations as the cultural and social vessel for the formation of the personality of the individual, in addition to presenting the most prominent transformations that the Algerian family experienced at the level of relationships, roles, and the status of individuals.

Keywords : family ; social change ; role concept ; social status

المؤلف المرسل: بلوافي هوارية ، الإيميل: belouafi.houaria@univ-oran2.dz

تعتبر الأسرة أهم مؤسسة اجتماعية مكوّنة للبناء الاجتماعي للمجتمع وهي تمثل النظام بما يحمله من رموز وقيم ومعايير هدفها إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية. ولقد عرفها بيرجس و لوك " بأنّها مجموعة من الأشخاص يتحدون بروابط الزواج أو الدم أو التبني، فيكوّنون مسكنا مستقلا، ويتفاعلون في التواصل مع بعضهم البعض بأدوارهم الاجتماعية المختصة كزوج و زوجة ،وأم و أب، و ابن و ابنة و أخ وأخت، الأمر الذي ينشئ لهم ثقافة مشتركة(أبو جادو ،1986، ص218).

إن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الفرد، مما يجعل الطريقة التي يتفاعل أعضاؤها معه ونوع العلاقات التي يخيرها تمثل النماذج التي ستشكل وفقا لها تفاعلاته وعلاقته الاجتماعية، فقد عرّفها جورج ميردوك : "أنّها جماعة اجتماعية يقيم أفرادها جميعا في سكن مشترك ويتعاونون اقتصاديا، أمّا وليم ستيفنس فيعرّف الأسرة على أنّها تقوم على ترتيبات اجتماعية قائمة على الزواج ومتضمنة معرفة بحقوق و واجبات الأبوة مع الإقامة المشتركة بين أفرادها والالتزامات الاقتصادية المتبادلة". فالأسرة هي البناء الاجتماعي الأولي الذي يتولّى تشكيل شخصية الفرد والعمل على إدماجه في الأنساق الاجتماعية الأخرى المكوّنة للمجتمع من خلال تلقينه الأدوار عن طريق التنشئة الاجتماعية. و قد عرفها بارسنز أنّها نسق اجتماعي الذي يربط البناء الاجتماعي بالشخصية، فالقيم و الأدوار عناصر اجتماعية تنظم العلاقات داخل البناء، وتؤكد هذه العناصر علاقة التداخل والتفاعل بين الشخصية والبناء الاجتماعي، كما تفسر النظرية البنائية الوظيفية العلاقات الاجتماعية داخل النسق الأسري على أنّها أساس الاستقرار، فالزوجان يرتبطان بعلاقات خارج الأسرة وداخلها، أمّا العلاقات الداخلية لا تمثل اشتراك في المكان فقط بل تنشأ على أساسا التقبل المتبادل من الزوجين، فالحياة الأسرية تقوم على أساس التكيف المتبادل بين الزوج والزوجة من ناحية الاشباع الجنسي و العواطف الودية والصداقة والمشاركة في السلطة وتقسيم العمل. أمّا دوركايم فيؤكد أن الأسرة ليست تجمعا للأفراد فقط بل هي مؤسسة اجتماعية أوجدتها المجتمع لهدف معيّن تربط أفرادها علاقة متصلة.

انعكاسات التغير الاجتماعي على خصائص الأسرة الجزائرية

كما اعتبر هورتون الأسرة أنّها النموذج الأمثل للجماعة الأولية بقوله: "أعني بالجماعات الأولية تلك التي تتميز بعلاقات المواجهة والتعاون اليومية، وهي أولية بمعان عديدة فهي ذات أهمية جوهرية في تشكيل الطبيعة الاجتماعية و وجودها يتوقف على الارتباط النفسي الحميمي فضلا على أنّها تعمل إدماج الأفراد بشكل محدّد حيث تنصهر حياة الفرد في حياة المجموع (سواء الخولي، 2002، ص 66). فالأسرة جماعة أولية لأنّها أساسية في تنشئة فرد اجتماعي وتشكيل أفكاره وتتميّز هذه الجماعة بالارتباط والتعاون بحيث تتوحد أهداف الفرد مع أهداف الجماعة.

إن حيوية الأسرة كأحد مؤسسات النسق الاجتماعي لا تتوقف على حجمها وأهدافها، بل تخضع لمؤثرات تاريخية وما تحمله من تحولات في مختلف أنساق البناء الاجتماعي. فالأسرة هي إنتاج اجتماعي تعكس صورة المجتمع الذي تنتمي إليه وتتطور بتطوره. اذ عرفت الأسرة الجزائرية عدّة تغيّرات سواء في شكلها التركيبي أو في علاقتها الداخلية أو في قيمها الاجتماعية وذلك نتيجة حركة التغيّر الثقافي - الاجتماعي التي شهدتها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال.

2. تطور الأسرة الجزائرية:

قدّم بوتفونوشنت دراسة تاريخية واجتماعية متكاملة حول تطوّر العائلة الجزائرية، حيث رأى أن الأسرة الجزائرية مرّت بثلاث مراحل تطوّرية:

1.2. الأسرة الأبوية الممتدة :

وهو النمط القديم للأسرة وأقرب للنظام العشائري وترجع السلطة للاب و تسمى السلطة في هذا النوع بالسلطة الهرمية. لكن نظرا للعوامل التاريخية التي مر بها المجتمع الجزائري اندثر هذا النمط، فلقد أدى دخول الاستعمار الفرنسي الى المجتمع الجزائري الى العديد من التغيّرات الاجتماعية، فقد عمدت السياسة الاستعمارية الى تفكيك النظام القبلي و ذلك بتجريد العشائر و القبائل من أراضيها كونها المصدر الاقتصادي و ووحدة النظام الاجتماعي القائم على التضامن الجماعي، و ذلك من أجل تحطيم الروح الجماعية و العلاقات العائلية المدعمة بالملكية الجماعية، و تجربة الفلاح الجزائري في العلاقات الفردية التي

بلوافي هوارية

تنسخها القبلية. ومن هنا بدأ توسّع السلطة حيث انتقلت من حكم عشائري الى نظام حكم عائلي مشترك (بوتفنوشنت، 1984، ص 273). أكد بيار بورديو أن الأسرة قبل الحملة الإستعمارية كانت أسرة ممتدة تقوم على روابط تقليدية في بنيتها، و وظيفتها الشرف و العادات المتصلة أكثر بالأرض. ان السياسة الاستعمارية كانت تهدف الى تفكيك النظام الاجتماعي القبلي و العشائري الممتد جذوره عبر التاريخ، مما أدى بالكثير منهم الى الهجرة بحثا عن مصدر عيش مشكلين بناء اجتماعي آخر يسمى "دوار" مكون من مجموع عائلات ممتدة، و منهم من نزح نحو المدينة و استقروا حول المراكز الحضرية.

2.2. الأسرة الأبوية المركبة (العائلة):

تتكوّن بالإضافة الى الأب و الأم و مجموعة من الأسر النواة من الأبناء المتزوجين و الاهل و الأقارب، و يقوم نشاطها الاقتصادي على الزراعة فهي مصدر قوتها ورزقها ويندرج عمل الرجل ضمن الملكية المشتركة في الدار الكبيرة ويخضع تسييرها الى أكبر العائلة ذو السلطة الواسعة (Boutefnouchent, 2001, p 175)، و هذا ما جعلها تقوم على تأمين اليد العاملة ممّا دفعها الى التشجيع على الانجاب خاصة الذكور. لهذا تتّصف العلاقات الاجتماعية داخل العائلة التقليدية بالتماسك والترابط والتكامل والتعاون ونكران الذات، فكل ما يقوم به أفرادها يندرج في إطار الممارسات الجماعية التي تعزز القيم الروحية. فالنشاط الزراعي و الاندماج يتم وفق التقاليد والتوزيع والنموذج القرابي، فالوضع الاقتصادي و الاجتماعي للعائلة يتحدّد حسب الميلاد والروابط الاسرية والعرف المحلي. حيث تعتبر القرابة نظاما اجتماعيا يعمل على تنظيم العلاقات بين الأفراد معينين في المجتمع يعرفون بأنهم أقارب و هي مزيج بين رابط الدم و الالتزامات الاقتصادية و الاجتماعية و الواجبات الاجتماعية و العشائرية و الدينية.

السلطة في هذه العائلة أبوية أي أنّ السلطة في يد الاب فهو يملك السلطة المطلقة على كل من هو تحت حمايته من ذكور و إناث وزوجات الأبناء وغالبا ما يكون صاحب السلطة هو أكبر أفراد العائلة سنا من الذكور وإن تقدّم في السن فإنّ سلطته تبقى رمزية حيث يشترك معه أكبر أبنائه الذي يمارس السلطة

انعكاسات التغير الاجتماعي على خصائص الأسرة الجزائرية

الفعلية. ويعتبر الاب في الأسرة الممتدة صاحب السلطة العليا التي يجب أن تطاع أوامره، اذ يمارس هيمنته في اتخاذ القرارات و له الحق أن ينظّم سلوكيات الجماعة كي يحافظ على تماسكها وتضامن أفرادها، وهو المرجع الأساسي لكل نشاط اقتصادي و مالي بالمقابل ملزم بتلبية كل حاجات أفراد البيت الواحد. فلقد ميّز ماركس فيبر في كتابه المدينة ثلاثة أنواع من السلطة، السلطة التقليدية وهي التي تركز على العادات الاسرية، السلطة الدينية: و التي تركز على المعتقدات سماها فيبر بالسلطة الثورية، و السلطة الشرعية: والتي تركز على العقلانية (الأسرة النواة)، و الصراع الدائم في إطار مشروع الجماعي و الشرعي و ينتهي بتغيير سلطة الغير.

يتّصف النسق الذي كوّنته ثقافة المجتمع التقليدي في موضوع سلطة الاب ترسيخ رمزي و النظام السائد داخل العائلة يقوم على سلطة الرجل ثم تساهم المرأة في تعزيز هذه السلطة من خلال تنشئة أبنائها محافظة على القيم الموروثة التي تمنح الحرية للذكر و بالتالي فإن الدور الاجتماعي هو تتابع نمطي لسلوكيات مكتسبة عن طريق التنشئة الاجتماعية و التي تلعب المرأة دور كبير فيها. و اهم ما يميز الأسرة التقليدية هو ذلك الحاجز بين الجنسين و هو حاجز سميّك يركز على فكرة المحافظة على البقاء الأخلاقي و الجسدي للمرأة و اعتبار مهمتها مقتصرة على التنظيم المنزلي... و تبرز مكانة المرأة وتصبح ذات أهمية كلما كان لها عدد كبير من الأولاد الذكور فهم مركز الاهتمام في الأسرة الجزائرية (مصطفى بوتفونشنت، 1984، ص273)

تعتبر العائلة الجزائرية التقليدية عائلة موسعة تشمل على عدّة أسر زواجية غالبيتها تعيش في مسكن واحد، و تلعب الدار الكبيرة دورا كبيرا في تحقيق التضامن و التلاحم وهي جماعة متضامنة الملكية بحيث يمنح الأب الحماية لكل أسرة زواجية، و كل جنس أو سن له مكانته الخاصة (على أساس الجنس و السن)، وذلك حسب ما تقتضيه القواعد والرموز التي تتفاعل من خلالها الجماعة المنزلية (بوتفونشنت، 1984، ص40). و حسب عدي الهواري فان اهم وظيفة تقوم بها العائلة الموسعة من بين جميع وظائفها الاقتصادية، السياسية و الدينية و الأخلاقية هي وظيفتها في تحديد هوية الفرد الاجتماعية، وتجسد وحدة

بلوافي هوارية

العائلة الموسعة بوحدة السكن، كما أكد أن الشرط الأساسي لوحدة العائلة الموسعة هو وحدة الأرض و أن وحدة الأرض تبقى مصانة طالما بقي الأب على قيد الحياة و غالبا ما ينقسم بعد وفاته مما يؤدي الى اضطراب اقتصادي و اجتماعي. و نظرا للعوامل التاريخية التي مرّ بها المجتمع الجزائري بدأت العائلة الموسعة بالاندثار نتيجة النمو الاقتصادي المبني على التصنيع و النزوح من الريف الى المدينة بحثا عن فرص عمل في مجال التصنيع الذي فرضته ظروف التنمية في البلاد.

3.2. الأسرة الابوية المباشرة (النواة):

و تعرف بالأسرة النووية أو الزوجية، مكوّنه من الأب و الأم و الأبناء، و السلطة فيها مبنية على تقسيم الأدوار و التشاركية، وهي تخضع للعامل الاقتصادي فسلطة القرار بيد من يملك العمل المأجور ويمكن أن تتدخل مميزات شخصية للفرد. اشارت الدراسات انه تبعا لحركة النزوح من الوسط الريفي الى الحضاري فان الأسرة الجزائرية فقدت شكلها و تحول بنائها من النظام الممتد الى النووي، و من نموذج اجتماعي و اقتصادي استهلاكي يقوم على علاقات القرابة و يعتمد على الإنتاج الزراعي و الحيواني الى نمط فردي يقوم على الاقتصاد الصناعي و التجاري و يحكمه العمل المأجور (محمد السويدي، 1990، ص89).

لقد أصبحت الأسرة النووية واقعا في ظل التحولات الكبرى التي عرفها المجتمع الجزائري و التغيرات التي مسّت أدوار المرأة و الرجل على السواء جراء ارتفاع المستوى التعليمي و خروج المرأة للعمل، و كذلك تأثير الأيدولوجيات الاستقلالية التي تدعم الفردانية و التي صاحبت النظام الرأسمالي، ممّا استدعى تحوّل الأسرة من النمط التقليدي الممتد الذي يميّز بالسلطة الأبوية مطلقة الى النمط النووي الذي يميّز بالسلطة الزوجية التشاركية ، فأصبح الاب يتنازل عن بعض أدواره شيئا فشيئا للمرأة التي تضيفها الى أدوارها التقليدية السابقة كالإنجاب و التربية الأبناء و الاعمال المنزلية. أكّد وليام جود في كتابه "الثورة العلمية و أنماط الأسرة" أن دول العالم التي أصبحت صناعية و متحضرة تتحول أنساقها الاسرية في اتجاه الأسرة الزوجية والسبب في ذلك هو ملائمة شكل الأسرة الزوجية للمجتمع الصناعي الحديث و يقول: "بينما يتغلغل النسق الاقتصادي و يمتد من خلال التصنيع تتغيّر أنماط الأسرة و تضعف روابط القرابة

انعكاسات التغير الاجتماعي على خصائص الأسرة الجزائرية

الممتدة وتحلل أنماط البيئة و تتجه نحو بعض أشكال النسق الزواجي الذي يبدأ في الظهور وهذه هي الأسرة النواة (الوحيشي، 1998، ص 179). ان التغير السوسيوثقافي الذي لحق بالأسرة الجزائرية انعكس على بنيتها مما ساهم في تحديد عدد أفرادها وأصبحت الاسرة النواة تنظم ذاتها وفق الشرعية التي ينظمها القانون المدني بدل السلطة العائلية المطلقة، و إعتماها على العمل المأجور الذي ينفرده به كل فرد في الأسرة بدل العمل الجماعي الزراعي.

3. عوامل التغير الاجتماعي وانعكاساتها على الأسرة الجزائرية:

يعرف التغير الاجتماعي على انه كل تحول يقع في النظام الاجتماعي سواء في بناءه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، ويشمل ذلك كل تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي ونظمه الاجتماعية أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد و التي تحدد مكانهم و أدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها. (مهدي محمد القصاص، 2008، ص82)

يحدث التغير الاجتماعي في المجتمع نتيجة مجموعة من العوامل أهمها العامل الاقتصادي الذي يؤثر في جميع التنظيمات الاجتماعية، و الأسرة أكثر تنظيمًا تأثراً به، فلقد كان لتصنيع الدور الأهم في انتقال المجتمع الجزائري من النمط الريفي الى مجتمع صناعي متمدن و الذي أفرز جملة من التحولات مست كل العلاقات و الأدوار الاجتماعية. ولقد عرّف جيرث و ملز التغير الاجتماعي على أنه: "التحول الذي يطرأ على الأدوار الاجتماعية و قواعد الضبط الاجتماعي التي يتضمنها البناء الاجتماعي في مدة معيشية من الزمن" (استيتية، ص123). إنّ الأسرة هي مؤسسة اجتماعية صغيرة في كل حقبة تاريخية أشكال الأسرة مختلفة تصحبها علاقات و أدوار و ممارسات اجتماعية جديدة. يرى بوتفونشنت ان "الأسرة هي انتاج يعكس صورة المجتمع الذي توجد فيه، فاذا اتصف المجتمع بالثبات اتصفت بالثبات و اذا اتصف بالحركة و التطور تغيرت الأسرة بتغير ظروف تحول هذا المجتمع (Boutefnouchent، 1984، ص19)

بلوافي هوارية

كشفت الكثير من الدراسات أن هناك تغيير كبير في الوظائف الاسرية نتيجة التحضر "فقد فقدت الأسرة الكثير من وظائفها التقليدية مثل التعليم و الوظيفة الدينية ،الاقتصادية ،الترفيهية و انتقل معظم الوظائف الى المؤسسات أخرى ذات أهمية اجتماعية حضارية ، بحيث يمكن القول بأن هناك تغييرات أيضا في الابعاد البنائية للأسرة حيث تغيرت المراكز و الأدوار للزوج و الزوجة و كبار السن و الأقارب و هذا ما أثر بشكل واضح على مكانزمات التفاعل الاسري حيث التأكيد على الاستقلالية و الفردية و الديمقراطية في العلاقات الاجتماعية " (أحمد بيومي ، 1993 ، ص 75). و يرى المفكر جرال د بريز في كتابه "التحضر والتقاليد " لا تمثل المدينة شكلا جديدا للتنظيم الاقتصادي و بنية فيزيقية مختلفة و لكن تمثل أيضا نظاما اجتماعيا يؤثر تأثيرا شديدا على سلوك الانسان و تفكيره ، فلقد أدى التحضر الى ظهور الحضرية كأسلوب حياة ذلك أن حجم السكان و كثافتهم و تباينهم من الأمور التي تؤثر على التنشئة الاجتماعية والطبيعة الإنسانية ذاتها". فالمدينة تشكل تنظيم اقتصادي و اجتماعي يتشكل من خلاله سلوك الفرد و ووعيه و أسلوب حياته، كما اثر التمدن على أنماط التحول الثقافي الي تؤثر على اشكال العلاقات الأسرية.

إن التحضر لا يساهم في التنمية الاجتماعية فحسب وإنما يمس البناء الاجتماعي و الثقافي في الأسرة ، فالنسق القيمي معني بهذا التأثير إذ يتحول من حالته التقليدية الى حالة من التقبل للأنماط الحياتية الجديدة ، والتي تبرز من خلال تفاعل الافراد فيما بينهم و ممارستهم لأدوارهم، وتحديد مراكزهم و مكانتهم داخل البناء الاجتماعي، حيث يعرف رالف لينتون الدور "بأنه المجموع الكلي للأنماط الثقافية المرتبطة بمركز معين كما يعتقد أن المكانة هي مجموعة الحقوق و الواجبات، و أن الدور هو المظهر الديناميكي للمكانة و يشمل الدور الاتجاهات و القيم و السلوك التي يميلها المجتمع على كل شخص يشغل مركزا معيناً" (أبو جادو ، ص 52). أما بارسنز فيعرف الدور أنه : "أفعال الشخص في أثناء علاقته مع الأشخاص الآخرين ضمن النظام الاجتماعي ، و أن تقسيم العمل في النظام الاجتماعي أدى الى تعدد

انعكاسات التغير الاجتماعي على خصائص الأسرة الجزائرية

الأدوار وتباينها ،و تكون كل مجموعة من هذه الأدوار المتخصصة المترابطة نظاما معيّنا في البناء الاجتماعي ،و تكون هذه الأدوار مرتبطة وظيفيا و ذات أهداف مشتركة"(أبو جادو ،1986، ص 53).

إن الأسرة الجزائرية تأثرت بالتحويلات التي تطرأ على باقي البنى الاجتماعية ،الاقتصادية و الثقافية (الانتقال من النمط الزراعي الى النمط الصناعي). وقد كان لنمو الصناعة والتكنولوجيا أثر كبير على وظائف الأسرة الحديثة ، كما عرف مجال التعليم والاتصال تطورا ملحوظا ،أدى الى اطلاع الأسرة على مختلف الثقافات ، و بهذا أصبح التّحضر عاملا من بين أهم العوامل التي أدت الى تغيير سمات المجتمع من التقليدي الى الحضري ،حيث تظهر تأثيراته في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية ،انطلاقا من التحويلات في الإقامة التي أصبحت فردية تضم الزوجين و الأبناء غير المتزوجين و المهنة التي أتاحَت لكل فرد من الأسرة تحقيق استقلاله الاقتصادي ،والانتقال من الملكية الجماعية الى الفردية، فاختفت السلطة العائلية و ظهرت الأنساق القانونية، وحدّد لكل هؤلاء الافراد حقوقهم و واجباتهم نحو بعضهم ونحو مجتمعهم ككل ، فاختفت الفروق بين الجنسين و أصبح لكل منهما الحق في الدراسة و العمل ، واختفت بعض القيم التي تحد من حريتهم كاختيار الشريك مثلا ،ولم تعد صورة المرأة مرتبطة بالجنس ،أو بأنها سيدة منزل فقط ،فبالرغم أن المرأة تعتبر دائما كربة بيت حتى و لو كانت تمارس عملا مأجورا خارج البيت"(سناء الخولي ،2002،ص 225).

أكد بارسنز في تطرقه الى أثر تصنيع على النسق الأسري أن ميكنزمات التصنيع تقسم العائلة في الأول بعزلها عن مداها العائلي، ثم تقلص من حجمها كجماعة الى زوج و عدد قليل من الأبناء هذه الجماعة ما هي الا وحدة للإقامة و الاستهلاك، فقدت وظائفها الإنتاجية ووظائفها السياسية و الدينية حيث يتقاسمون المسؤوليات المالية، و التربوية مع منظمات أخرى، و الوظيفة التي بقيت للأسرة هي جعل الأطفال اجتماعيين و خلق التوازن السيكولوجي للكبار، و تتميز الأسرة الزوجية حسب بارسنز بالعزلة النسبية مكنتها من التكيف مع المجتمع الصناعي الذي يركز على الإنجاز الفردي كأساس للنسق الاقتصادي(بلقاسم الحاج،2009،ص26).

بلوافي هوارية

لقد كان لنمو حركة التعليم في الجزائر أثر في تشجيع الفرد على التطلع الى مستوى اجتماعي وثقافي لائق، يخلق إنسانا يتماشى مع أوضاع الحياة الحضرية الجديدة، فقد أصبح التعليم مطلباً سكانياً، كما أصبح عاملاً ماثراً في الخصائص السكانية، فأخرجهم من العزلة و أكسبهم شخصيتهم الخاصة، و مكّنه من العمل والارتقاء في السلم الاجتماعي، و انطلاقا من هذا أصبح التعليم من بين أهم عوامل التغيير الاجتماعي، و أحد القوى المحركة للفرد والمجتمع سياسياً، اجتماعياً واقتصادياً. إن التغيير الاجتماعي الذي عرفته الأسرة الجزائرية لم يمس الجانب المعيشي فقط، نتيجة النمو الاقتصادي و المعرفي و إنّما مسّ قيم الفرد و عاداته، و قد ساعد الانتشار الواسع للوسائل التكنولوجية في انتشار وعي جديد وقيم تعزز تقدير الذات و تحثّ على الفردانية ممّا أضعف قيم القرابة و حلّ القانون المدني بدل القانون التقليدي الذي كان ينظم العلاقات داخل البناء الاسري حسب رأي بوتفوشنت. لقد كان للتقدم التكنولوجي تأثيرات متعددة على الأسرة من حيث بنائها و وظائفها و لذلك نجد حجم الأسرة التي تأخذ بأسباب التكنولوجيا الحديثة يميل الى النقصان باستمرار مع ما يصحبه من انتشار شكل الأسرة النواة و لكن هذا لا يعني أنه الشكل الملائم للنظام الاجتماعي. كما أن العلاقات الداخلية في الأسرة تغيرت حيث أصبحت العلاقات بين الأفراد الأسرة تقوم على الحرية و المساواة كما تغيرت القيم المتعلقة بالزواج.

4. الأسرة الجزائرية الحديثة - الخصائص والوظائف:

إن تأثر الأسرة الجزائرية بالتغيرات الاقتصادية و الثقافية و ما تحمله من قيم الحداثة و التقدم أدّى الى انكماش وظائفها و تقلص عدد أفرادها و انتقلت بذلك الى ما يعرف بالأسرة الحديثة التي تتسم بصغر حجمها (الاب، الام، الأبناء غير المتزوجين) لها اتجاه نحو الفردانية أو العزلة القرابية و إن كانت الكثير من الأسر لا تزال تتجاذب نحو النمطين النووي والممتد، و لقد عرّف بوتفوشنت الأسرة النواة: "أنّها نموذج أسري جديد للأسرة الجزائرية تتضمن كلا الزوجين و أولادهما غير المتزوجين و الذين يتفاوت عددهم حسب كل أسرة، إضافة الى أنها أسرة تدير شؤونها بنفسها و تبحث عن الاستقلالية والانفراد في مسكنها

انعكاسات التغير الاجتماعي على خصائص الأسرة الجزائرية

(Boutefnouchent, 2001, p 175) حيث يعرف دوركايم الأسرة الحديثة: "هي وحدة قرايية منعزلة نسبيا" (مصطفى الخشاب، 1985، ص 83).

تتميز الأسرة الجزائرية الحديثة بأسس و معايير التي يعتمد عليها في تحديد الأدوار و المكانة حيث أصبح أفرادها يتمتعون بالحريات الفردية العامة فلكل فرد يتمتع بكيانه الذاتي و شخصيته القانونية خاصة إذا بلغ سن الرشد على خلاف العائلة التقليدية التي تعتمد على معيار الجنس و السن والقربة ، حيث ظهرت معايير جديدة كمهنة الفرد و دخله و المستوى التعليمي (Boutefnouchent, 2001, p 175). و أصبح للمرأة كيان خاص و مستقل و ذلك بعد حصولها على فرص التعليم و العمل و ارتقائها في السلم الثقافي والاجتماعي، ومشاركتها في التنمية الاقتصادية للمجتمع مما جعلها تمتلك أدوارا تشاركية فعالة في إدارة الشؤون الخاصة والعامة للأسرة مثلما تشارك في ميزانيتها، و لذا اتصفت الأسرة الحديثة بالأسرة الديمقراطية مع بقاء الدور الرمزي للاب في اتخاذ القرار فهو لا يستطيع الانفراد به و من هنا يبرز دور الأب على أنه التزام ثقافي و اجتماعي اتجاه أفراد أسرته. ان ظهور اشكال جديدة من الحياة العائلية يشارك فيها الرجل و المرأة على قدر المساواة ، فأشكال العائلة التقليدية قائمة على هيمنة الرجل، و كان القانون يكرس هذا التباين (بوتفنوشنت، 1984، ص 41). تتحدد مكانة المرأة و طبيعة أدوارها و وظائفها في ظل ما يمر به المجتمع من تغيرات متسارعة في مختلف المجالات الاجتماعية، الاقتصادية و ثقافية، هذا ما جعلها تبرز كطرف فاعل في هذا التغيير. إن المرأة الجزائرية لا تزال تعاني من ازدواجية الأنساق القيمة حيث تخضع وضعيتها لقيمتين احدهما تقليدية و أخرى حديثة. يرتبط بعمل المرأة و زيادة مسؤوليتها، مشاركتها الفعالة على مستوى الندية للرجل مما أهلها لاستخدام ما أتيح لها من حقوق و امتيازات استخداما يؤكد مكانتها و يدعم استقلالها الاقتصادي. وليس هناك شك أن خروج المرأة قد اثر بعمق في العلاقات الأسرية، الا ان هذا التأثير لم يبلغ مداه كما بلغ في الأسرة في المجتمعات الغربية نظرا لاستمرار فعالية النسق القيمي في المجتمع و عدم استجابته للتغير بالقدر الذي تغيرت به الأسرة أو تأمل فيه الزوجة. (سناء الخولي، 2002، ص 327)

بلوا في هوارية

لقد حاولت سناء الخولي في دراستها "الأسرة و الحياة العائلية " التطرّق الى العلاقات المتبادلة بين الأسرة و العصرية و التمدّن و الحداثة ،حيث ترى أن التصنيع يساهم في تغيير الانماط الاسرية ،كما أدى الى إضعاف الروابط الاجتماعية أي تراجع التضامن الاجتماعي بتراجع الزواج القرابي في الأسرة. و بالرغم من تغير الزواج التقليدي في الاسرة الجزائرية إلا أن تقاليد الزواج و أعرافه لا يزال محافظ عليها. حيث أصبح اختيار الزوجة يتم بحرية و بصفة شخصية بين الرجل و المرأة بمباركة الاهل دون تدخل مباشر في الاختيار الا في حدود معينة و يكتفي الآباء بدور المراقب و المنظم و تسجيل الحضور في الفاتحة و تقديم المساعدات للأبناء (شرقي رحيمة، 2017،ص31).

رغم التغيرات التي طرأت على أوضاع الاسرة الجزائرية، إلا أن طبيعة العلاقة بين الرجل و المرأة داخل النظام الأسري ما زالت تحكمها العلاقات التقليدية، و لا زال الأب هو المدير الأول و متخذ القرار في كثير من الأسر، رغم تكيف الأسرة الجزائرية حيث صارت تقدم صورة جديدة للأب الأكثر تكيفا (محمد السويدي، 1990، ص89). ان تراجع النظام الأبوي في الاسرة الحديثة الذي كان يضفي على الأسرة التقليدية الكثير من معناه الكلاسيكي الذي تحدده المفاهيم الصارمة كالسلطة المطلقة ذات النفوذ الواسع ليكتسي دلالة أكثر رمزية و مرونة.

عرفت مكانة الأب داخل الأسرة الحديثة تحولا ملحوظا إذ تغيّرت سلطة الاب من الوضع المسيطر في العائلة الى وضع يتميّز بعدالة و تساوي مع الأبناء ، كما تحوّل من رئيس تسلّطي الى رئيس ديمقراطي متأثرا بالوضع الذي بلغه أبنائه الذين أصبحوا مواطنين في دولة و ليسوا أفراد عائلة يسيّرّها الاب فقط، وهذا ما يدلّ على أنّ النّظام الابوي الذي كان يطغى على العائلة التقليدية فقد الكثير من خصائصه والذي تحدّده المفاهيم الصارمة كالسلطة المطلقة ليكسب دلالة أكثر رمزية و مرونة ،لأن الواقع الاجتماعي لا يسمح بذلك ولم يعد يبرز هذا النظام بنفس الشكل الذي كان عليه في العائلة التقليدية و أصبحت الأسرة الحديثة تظهر الاب بصورة أكثر تكيفا مع الأوضاع القائمة(احسان محمد الحسن، 1985، ص55) .

انعكاسات التغير الاجتماعي على خصائص الأسرة الجزائرية

لقد تناولت العديد من الدراسات العلاقات الاسرية داخل نطاق الثقافات السائدة في المجتمع و خاصة فيما يخص أدوار الرجال و النساء و مكانة كلا منهما في الأسرة و ذهبت بعض الدراسات الاجتماعية الى أن هناك عوامل كثيرة ساهمت في تغيير دور الأب داخل الأسرة، فالأب الذي ينتمي للشرائح الاجتماعية الدنيا و المتوسطة أثر عرضة للمشكلات التي يشهدها المجتمع وخاصة الازمات الاقتصادية والاجتماعية فيخلق لديه حالة عدم استقرار المادي نتيجة عجزه عن إشباع حاجات أسرته الاقتصادية و الاجتماعية فيخلق لديه حالة عدم الاستقرار المادي نتيجة عجزه عن اشباع حاجات أسرته في تشكل عند نوع من الإحباط من ثما ينتقل هذا الشعور الى أسرته عن طريق سلوكيات يمارسها الاب داخل الأسرة كالعذوانية . و هناك آباء لا يستغنون عن ممارسة فردانيتهم فيتقاسمون الدخل مع أسرهم تاركا المرأة تواجه مسؤولية مصاريف أفراد أسرتها بصعوبة مما يولد حالة من الغضب لديه اتجاه المحيط الاجتماعي ، وقد يتجه الاب نحو إيجاد حلول عن طريق البحث عن فرص عمل أخرى بهدف الحصول على دخل إضافي لتحقيق مستوى معيشي مقبول ،لكن بالمقابل سيكون الاب غائبا عن أداء أدواره اتجاه أبنائه أي أنه يستقيل من دور تنشئة الأبناء داخل الأسرة ،وهناك نوع آخر من الآباء و هو الاب الذي يستسلم لنزواته الإنحرافية و الذي يشكل خطرا على الأبناء و يسبب الكثير من المشاكل الداخلية والخارجية لأسرته(الوحيشي أحمد بيري، 1998، ص 170).

أكدت سناء الخولي في دراستها الأسرة والحياة العائلية تراجع السلطة الابوية في الأسرة الحديثة هو نتيجة مشاركة المرأة الرجل في الجانب الاقتصادي للأسرة إضافة الى عوامل الفقر والبطالة دعمت الصورة الهشة لمكانة الرجل في الأسرة. كما أكدت في ذات الدراسة أن العلاقة الزوجية تتحدّد في ظل التغيّرات التي حدثت على المستوى البنائي والوظيفي للأسرة و خاصة بعد تغيير سلم القيم الثقافية التي كان يخضع لها الرجل في مكانة عالية باعتباره الرئيس الفعلي للأسرة (سناء الخولي، 2002، ص 66).

إن الأسرة ليست وحدة اجتماعية بسيطة فهي تنظيم له وظائفه ودينامية فهي تتأثر بالمناخ الاجتماعي والاقتصادي و السياسي للمجتمع. فاذا كان التغيّر الاجتماعي قد مسّ الأسرة الجزائرية من كل النواحي

بلوافي هوارية

البنائية الوظيفية فإن التنشئة الأسرية قد تعرّضت لتلك التغيّرات فالقيم والخبرة التي كان يورثها الأباء للأبناء عن طريق التنشئة الأسرية لا تتجانس مع متطلبات الحياة الراهنة للفرد، فالدراسة التي قدمتها سناء الخولي حول الأسرة والحياة العائلية تؤكد ذلك حيث تقول : " إذا كانت التنشئة الاجتماعية هي أحد الوظائف الأساسية التي بقيت دون أدنى تغيير من حيث شكل الأسرة فقد تبين أن التنشئة ذاتها قد تعرضت لتغيرات واسعة النطاق ،ذلك التغير الذي يعكس الاختلاف بين الريف والحضر بل وبين المناطق الحضرية ذاتها في الوقت الذي تعكس أيضا عوامل عديدة اقتصادية و ثقافية و مهنية وقد أظهرت الدراسة هذا الاختلاف في أساليب التي يتبعها الأباء في تربية أبنائهم وفي مبلغ الحرية التي يتيحونها لهم وفي طريقة مراقبتهم وتوجيه سلوكهم.

إنّ اتساع الحياة في المجتمع الحضاري أدّى الى اتّساع علاقات الأبناء وزاد في التزاماتهم سواء مع الافراد أو المؤسسات ممّا أضعف الروابط داخل الأسرة. فقد أكّدت الدراسات أن العلاقة بين الابوين والأبناء قد تغيّرت ولاسيما بعد انتشار التصنيع والتحضر وشيوع الأفكار الحديثة والتعليم، فأصبحت علاقة مبنية على أسس ديمقراطية و ذلك أن كل فرد في الأسرة أصبح يمارس فردانيته التي يستمدّها من التأثيرات الايدولوجية المكتسبة عن طريق الوسائل التكنولوجية الحديثة كشبكات التواصل الاجتماعي وغيرها. فأصبحت المستويات الثقافية و الميول والاتجاهات والقيم والاهتمامات للجيلين تختلف عن بعضها البعض لأنّ طبيعة الحياة التي عاشها الاب تختلف عن طبيعة الحياة التي يعيشها الأبناء في الوقت الراهن، مما ساهم في ظهر صراع بين جيلي الأبناء و الأباء ولكن من جهة أخرى فان تدخل الإباء في شأن تكوين الأبناء للعلاقات الخارجية أقل بكثير ممّا كانت عليه الأسرة التقليدية المبنية على سلطة الأب كاختيار الأصدقاء و المهنة و الزوجة. ان تقلص أدوار الأسرة نتيجة تعرض أفرادها لكثير من الخبرات خارج الأسرة و ذلك بسبب نمو المجتمع حضاريا و اقتصاديا فأصبحت تشارك الأسرة مؤسسات أخرى في عملية التنشئة الاجتماعية. ان اختلاف الأدوار عما كانت عليه في العائلة التقليدية حيث اصبح افراد الأسرة يبحثون عن المصلحة الفردية على حساب مصلحة الجماعة(الأسرة) مما أدى الى ظهور صراعات. ان الأسرة هي النسق

انعكاسات التغير الاجتماعي على خصائص الأسرة الجزائرية

الاجتماعي الرئيسي للمجتمع يتفاعل في إطاره الوالدين مع الأبناء لتشكيل شخصية اجتماعية حتى يتمكنوا من أداء أدوارهم بصورة فعالة في المجتمع الذي ينتمون اليه مما ينعكس على باقي الأنساق الاجتماعية التي تشكل مع نسق الأسرة وحدة مجتمعية متكاملة.

5. الخاتمة:

إن الأسرة الجزائرية الحديثة هي نتاج لتلك التغيرات الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية التي مست المجتمع الجزائري والتي اصابت النسق الأسري في عمق كيانه البنيوي والوظيفي، فالأسرة هي وحدة اجتماعية تعكس كل مرحلة من تطور المجتمع وهي ديناميكية تتميز بالقدرة على التكيف والتلاؤم مع متطلبات كل مرحلة على مستوى العلاقات وأدوار الأفراد ومكانتهم، والتي تأثرت بعوامل التغير في المجتمع كانتشار التحضر، وارتفاع المستوى التعليمي وخروج المرأة للعمل وانتشار الوعي الفردي وتحقق الذات واستقلاليتها. فالأسرة هي منظومة متكامل داخلها الأدوار وتتفاعل كوحدة وظيفية في إطار نسق تفاعلي وظيفي، ومن جهة تسعى الأسرة الجزائرية للحفاظ على هويتها الثقافية، فهي تعيش ذلك الصراع الثقافي القيمي نتيجة تعرضها لقيم جديدة فرضها التغير بمختلف أساليبه ووسائله.

6. قائمة المراجع:

1. صلاح محمد علي أبو جادو، (1989)، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، عمان.
2. سناء الخولي، (2002)، الأسرة والحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية، مصر.
3. مصطفى بوتنفوشنت، (1984)، العائلة الجزائرية التطور و الخصائص الحديثة، ديوان المطبوعات الجزائرية .
4. محمد السويدي، (1990)، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
5. الوحيشي أحمد يبري، (1998)، الأسرة و الزواج، مقدمة في علم الاجتماع العائلي، طرابلس.
6. محمد أحمد بيومي، (1993)، المشكلات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية.

بلوا في هوارية

7. مصطفى الخشاب،(1985) ، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية ،بيروت.
8. إحسان محمد الحسن،(1985) ،العائلة و القرابة والزواج، دار الطباعة و النشر ،بيروت ، ط2 .
9. محمد أحمد بيومي، عفان عبد العليم ناصر،(2003) ، علم الاجتماع العائلي، دراسة تغيرات في الأسرة العربية، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية .
10. محمد عاطف غيث و آخرون،(1979) ،قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة.
11. إحسان محمد حسن، الأسرة و مشاكلها،(1981) ، دار النهضة العربية، لبنان.
12. boutefnouchent Moustafa,1987 ,système social et
Algerie alger, ,OPU changement social en
13. Piere Bourdieu , 1958 sociologie de l Algerie, Pari, France.
14. محمد عمر الطنوبي،(1996) ، التغير الاجتماعي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.
15. عدنان أحمد و محمد المهدي الشافعي،(2001) ، علم الاجتماع التربوي ط1 جامعة سبها ليبيا.
16. مهدي محمد القصاص،(2008) ، علم الاجتماع العائلي ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة.
17. بلقاسم الحاج،(2008/2009) ، المرأة و مظاهر تغير النظام الأبوي في الأسرة الجزائرية، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة بن يوسف بن خدة ، الجزائر.
18. دلال ملحس استيتية ، (2010) ،التغير الاجتماعي والثقافي ، ط2، دار وائل للنشر ، عمان ، الاردن.